

التقديم

في إطار النشاطات الخاصة بالتظاهرة الثقافية « الجزائر عاصمة الثقافة العربية لسنة 2007 »، أدرجت المحافظة العامة المكلفة بالتحضيرات لهذا الحدث الثقافي، ترجمة أعمال الشاعر الفنان لوئيس أيت منقلات إلى اللغة العربية، وهي مبادرة حسنة، إذ أنه من غير المعقول أن يحرم القارئ أو المستمع الناطق بالعربية، داخل الجزائر أو خارجها، من تذوق النصوص الشعرية الوهاجة لهذا الشاعر الرمز في الثقافة الأمازيغية.

فإن كانت الأعمال الشعرية للوئيس أيت منقلات تتركز في أساسها على التراث الثقافي القبائلي، وتستمد منه طاقتها وحيويتها، فإنها تتوجه بخطاباتها لكل الناس، نظرا لما تحتويه من حكمة كونية شاملة: ألسنا بذلك أمام فلسفة بالمعنى الإتمولوجي للفظة؟ ذلك أن أعمال هذا الشاعر الكبير لا تقف عند حدود الانشغالات الخاصة بإنسانية معينة، مهما بلغت أهميتها، بل تحلق بما تتضمنه من موضوعات وتوجيهات في آفاق إنسانية رحبة، تنمحي أمامها كل الحدود العرقية، والقارية، والعقائدية.

يشتمل الديوان على 123 قصيدة مترجمة، تتوزع على أربعة محاور كبرى: تضمن المحور الأول 46 قصيدة غزلية، والثاني 45 قصيدة سياسية، الثالث احتوى على 19 قصيدة فلسفية تأملية، والمحور الأخير تضمن 13 قصيدة اجتماعية، بمعنى أن أعمال هذا الشاعر استغرقت مساحات موضوعاتية شاسعة، وتقاسمتها عدة مستويات تعبيرية: كالعاطفة والحرية، والشرف، والإيمان، وذلك انطلاقا من بداياته الإبداعية وصولا إلى أوج نضج تجربته الشعرية.

إن ترجمة مثل هذه الأعمال الشعرية المميزة ليس بالأمر الهين، فإن سار القول منذ القدم أن الترجمة توازيها الخيانة، قد يكون ذلك أكثر صدقا لما يتعلق الأمر بحقل ثقافي معقد، لا يستلزم فقط تغيير سلم الألفاظ القابلة للتبادل وذات المنشأ الأممي، بل أيضا سبر أغوار ثقافة فريدة وأصيلة. ولكي يتم التمكن من التوغل إلى صميم الكنه الحقيقي للنصوص المترجمة، فمن المفروض أن ترفق هذه الترجمة بالتعليق الهامشية المكتشفة، لإبراز المعاني المحتجبة في تعابير اللغة الأصلية، لأن الأمر يتعلق بالشعر، وهذا يعني التفرد، الحساسية، الموسيقى الإيجابية، الذات العميقة للكائن الحي، هذه الذات الغائرة التي لا تمثل حسب تعبير أحد الفلاسفة معادلة رياضية، وإنما تمثل قصة، كما أننا لسنا أمام أشكال هندسية مادية حسب مقولة باسكالية، وإنما أمام روح النعومة واللطف.

ومع كل ذلك، فإن جلاوي محمد قد رفع، وبمسرة بادية، التحدي لحوض غمار ترجمة أشعار لونيس أيت منقلات إلى اللغة العربية، ويجب القول أنه مؤهل، وبصفة خاصة، لمثل هذه المهمة الصعبة، إنه مزدوج اللغة بأهلية وموهبة، أستاذ الأدب الأمازيغي بجامعة تيزي وزو، وصاحب رسالة ماجستير مقدمة بامتياز، حول البعد الرمزي في شعر لونيس أيت منقلات، وقد فاز بمراهنة تقديم في لغة أبي نواس تحف شعرية رائعة مبدعة في لغة سي محند، تلكم هي التحولات الثقافية السعيدة، في جزائر ارتقت أخيرا، بسلم اللغة الأمازيغية إلى سلم اللغة العربية، بمعنى ترسيمها كلغة وطنية.

أ. د. يوسف نسيب

Préface

Dans le cadre de l'année 2007 qui verra Alger, « capitale de la culture arabe », le Commissariat Général chargé de préparer cet évènement a programmé la traduction en arabe d'œuvres poétiques du poète-chanteur Lounis Aït Menguellat. La mesure est heureuse car il était pour le moins paradoxal que le lectorat et les auditeurs arabophones de l'Algérie et d'ailleurs ne fussent pas à même d'apprécier les textes flamboyants de ce grand chantre de la culture amazighe. La poésie de Lounis Aït Menguellat se nourrit pour une bonne part du patrimoine culturel kabyle où elle puise une sève qu'il sait aussi renouveler, mais elle s'adresse à tous les hommes tant elle tend vers une sagesse universelle: ne sommes-nous pas dès lors dans la philosophie au sens étymologique du concept? C'est que l'œuvre de ce grand poète ne se limite pas aux préoccupations, fussent-elles majeures, d'une humanité donnée, celle de son peuple en l'occurrence, mais par sa thématique et la leçon qui s'en dégage, elle s'adresse à l'Homme sans distinction d'ethnie, de continent ou de confession. Les 123 pièces qui composent ce corpus se distribuent en effet en 19 poésies philosophiques, 13 sociales, 45 politiques et 46 sentimentales. C'est dire que l'amour, la liberté, l'honneur, la foi sont des universaux qui parcourent l'œuvre d'Aït Menguellat des premières chansons aux sublimes poèmes de la maturité.

Traduire une telle poésie n'est pas œuvre aisée. Depuis l'Antiquité, on sait que traduire c'est trahir : cela est encore plus vrai dans un champ intellectuel complexe où il s'agit de transposer non seulement des termes interchangeables et

internationaux, mais un substrat culturel singulier et original. Pour bien faire accéder à la pleine intelligence des textes traduits, la traduction devrait idéalement s'accompagner de commentaires fournis et abondantes notes infra-paginales pour dire les sens dont est porteuse une expression dans sa langue d'origine, Or ici il s'agit de poésie, c'est-à-dire de nuances, de sensibilité, de musicalité suggestive, de personnalité profonde de l'être, de notre être intérieur qui, selon le mot d'un philosophe, n'est pas une mathématique, mais une histoire. Nous ne sommes pas dans l'esprit de géométrie selon l'expression pascalienne, mais dans l'esprit de finesse.

Et pourtant. Djellaoui M'hammed a relevé avec bonheur le défi de transposer en arabe la poésie d'Aït Menguellat. Il faut dire qu'il est particulièrement qualifié pour une tâche aussi difficile. Bilingue talentueux, professeur de littérature amazighe à l'Université de Tizi-Ouzou, auteur d'un magister brillamment soutenu sur le symbolisme dans la poésie de Lounis Aït Menguellat, il a réussi la gageure d'offrir dans la langue d'Abou Nouas des petits chefs-d'œuvre forgés dans celle de Si Mohand. Voilà des transferts culturels heureux dans une Algérie qui a enfin accordé à la langue berbère le statut de la langue arabe, c'est-à-dire le statut de langue nationale.

Prof. Youssef Naciri

القدمة

لقد سبق لنا أن خصصنا لشاعرية لونيس أيت منقلات دراسة أدبية خاصة⁽¹⁾، تناولنا فيها عملية التصوير الشعري في مساره الإبداعي، وذلك من منطلقين أساسيين:

- تمثل المنطلق الأول في محاولة الكشف عن الصلة الإبداعية القائمة بين أعمال هذا الشاعر وما تقدمه بيئته من تراث ثري ومتنوع، وما أضفاه ذلك على تجربته الشعرية من عمق وأصالة.
- وتعلق الثاني بطموحه الحدائثي الرامي إلى تطوير النص الشعري الأمازيغي، وإكسابه من المميزات الفنية والخصائص التصويرية ما يرقى به إلى مستوى النصوص الشعرية في مختلف الآداب العالمية المعاصرة.

وها نحن نعود مرة ثانية إلى أعمال هذا الشاعر، لتتناولها من زاوية أخرى، تتمثل أساسا في ترجمة أشعاره من اللغة الأمازيغية إلى اللغة العربية،

⁽¹⁾ هي دراسة أدبية أكاديمية، أنجزت كمذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الأمازيغي، تحت عنوان: « الصورة الشعرية عند لونيس أيت منقلات: بين التراث والتجديد». هذه الدراسة نشرت بطبعتها الأصلية سنة 1999، ثم نشرت طبعة مترجمة إلى الفرنسية عام 2003.

هذه الترجمة التي طالما نشدها العديد من المتعطين إلى التوغل بالفهم
والتمحيص في المضامين الشعرية لهذا الشاعر المميز⁽²⁾.

وهذه الترجمة، ستشمل معظم أشعار لونيس أيت منقلات، وستتيح
للذين تعذر عليهم فهم اللغة الأمازيغية . سواء داخل القطر الجزائري أو
خارجه . من اكتشاف عبقرية هذا الشاعر، والوقوف على ما تحظى به
إنتاجاته من تفرد وجمالية.

ولعل أول انشغال لازمنا على طول خطية إنجاز هذا العمل، هو
حرصنا الشديد على أن تكون الترجمة وفية للنص الأصلي قدر الإمكان،
بالرغم من علمنا أن أية ترجمة من لغة إلى أخرى، لا تسلم . مهما كان .
من قدر معين من الخيانة.

وحرصًا منا على جعل ترجمتنا تنأى بشكل معقول عما يفرضه مثل
هذا التحويل النصي من لغة الأم المبدعة، إلى لغة الغير الشارحة، من عيوب
ومزلق، إتزمنا جملة من المعايير والمقاييس، ساعدتنا على إبلاغ الرسالة
الإبداعية المتوخاة من كل نص شعري، بكيفية جلية إلى المتلقي، نذكر منها
على سبيل المثال:

(2) كاتب ياسين من بين الكتاب الذين أدركوا هذا التعطش إلى فهم إبداعات هذا الشاعر، من طرف شرائح
اجتماعية عريضة، حين قال في التقديم الذي كتبه كاستهلال لكتاب تسعديت ياسين (1990): « هذه الترجمة
لأشعار لونيس أيت منقلات إلى اللغة الفرنسية، يجب أن تتبع بترجمة مماثلة إلى اللغة العربية ».

. التركيز في المقام الأول على نقل المعاني والأفكار بشكل دقيق، والابتعاد عن الترجمة الحرفية والآلية للألفاظ، هذه التي قد تقود المترجم إلى إفراغ النص الشعري من محتوياته الحقيقية، وإنزاله إلى ضحالة جمالية وإيقاعية من جهة، وإبعاده عن الرسالة الحقيقية المراد إبلاغها من جهة ثانية، لذا تعمدنا في كثير من الأحيان ترجمة الفكرة التي تتضمنها الجملة الشعرية، إضافة إلى التركيز على نقل الصور والأخيلة بالتزام شديد ومتين.

. الحرص على نقل النبض الشعري بكامل جمالياته البنائية والإيقاعية، سواء من حيث التقنيات الهيكلية المعتمدة في هندسة القصيدة، أو من حيث الجرس الموسيقي الذي يشعه عادة نظام القوافي المتعدد والضامن لمقاييس الشاعرية الحقة، شريطة أن لا يكون ذلك على حساب المعنى الأصلي للنص الشعري.

ولكن، رغم كل هذا الحرص، فقد جابهتنا في كثير من الأحيان جملة من الصعوبات، تنصب في مجملها ضمن ما يفرضه ذاك التقاطع التبايني للأوعية الثقافية، القائم عادة بين مختلف اللغات والثقافات. فاللغة العربية لها رصيدها المعرفي والثقافي الخاص بها، كما أن اللغة الأمازيغية رصيدها المعرفي والثقافي الخاص بها أيضا، فأحيانا نقف عاجزين أمام ترجمة صورة شعرية عندما يكون نسيجها الفني منبثق من غور التراث المحلي، فبالرغم من ترجمتها بما يوازئها في اللغة العربية، إلا أن عمقها الدلالي يظل مضمرا، لا يفهم كنهه

الأصيل إلا في لغة الشاعر الأصلية، وقد يحدث ذلك أيضا حتى على مستوى العبارات والألفاظ.

فإلى جانب هذا الانشغال الأساسي النابع عن حتميات الترجمة في حد ذاتها، فقد ظلت تحذونا انشغالات أخرى إضافية، تتمثل في كيفية الإحاطة بكامل جوانب عبقرية هذا الشاعر، إذ إن كنا قد تمكننا من الكشف عن عبقريته الكامنة وراء النظم والقول الشعري، فستظل جوانب أخرى عديدة ضمن المحك العام لهذه العبقرية مضمرة، غير ممثلة في مضمون هذه الترجمة، والتي تستدعي بدورها دراسات منفردة ومتخصصة. نذكر من بينها على سبيل المثال:

. الجانب الموسيقي المصاحب لأشعاره، هذا الجانب الذي ظل يسير في تناغم كبير مع النص الشعري، ففي أعماله يتجسد النموذج الحي لازدواجية فريدة بين رنة الوتر وقوة التصوير الشعري، ليخلق بذلك سمفونياته الرائعة، التي تطرب لها الآذان، وتستهوئها الأذواق، فألحانه وميلودياته تناسب بشكل وثيق الفحوى الشعري، وتكسبه جمالية خاصة، وتلهمه قوة الانسياب إلى ذهن المتلقي⁽³⁾.

(3) فالقيثارة بالنسبة إليه تمثل الدعم المادي والمعنوي في أداء النشاط الشعري، كما تمثل الوسيلة الإشهارية الفاعلة للقصيدة في مثل تلك الأوساط الاجتماعية ذات التقليد الشفوي. ولكن إن كان لونيس قد أولى عناية خاصة للجانب الموسيقي في أعماله الفنية، يظل الاهتمام بالنظم والكلمة من انشغالاته الأولية، فالموسيقى في جل أعماله وإبداعاته مسخرة لخدمة الكلمة، وقد صرح بذلك مرارا، بحيث نجده يقول في إحدى استجواباته: « إن الإطار الموسيقي في أعمالى الفنية يمثل الوسيلة العملية لتمكين فعل الكلمة في الأذهان، وأن "الأسفرو" سيظل الأساس الجوهرى لاهتماماتى الإبداعية».

. طريقة طرحه للمسائل، وإبلاغها إلى جمهوره المتلقي، إذ يخالف غيره في طرح القضايا، فهو يمتدح الطرح التهويلي للمسائل، بل من طبعه إلتزام الرزانة والفكر الواعي في عرض مختلف الانشغالات، مهما بلغت حدة الألم والتوجع فيها، حتى لقب بالقوة الهادئة⁽⁴⁾، التي تبلغ الرسالة يقينا من غير ضجة.

وفي ترجمتنا هذه، لا نزعم أننا شملنا كل إنتاجات هذا الشاعر، التي تفوق مئتي (200) قصيدة، بل انتقينا منها 123 قصيدة، نظمها عبر مختلف مراحل مساره الفني، وقد كلفتنا هذه الترجمة جهودا كبيرة، استغرقت ما يتجاوز سنة من العمل المتواصل، إذ قد يبلغ بنا الوضع أحيانا إلى مراجعة ترجمة القصيدة الواحدة وتعديلها مرارا وتكرارا، حتى نحس فعلا بالتطابق الوثيق بين النص الأصلي والنص المترجم. ونأمل فقط أن نكون قد أبلغنا من خلال هذا العمل رسالة لونيس أيت منقلات الشعرية بوفاء وأمانة، وتفادينا قدر الإمكان ما تفرضه طبيعة الترجمة من أضرار ونقائص.

هذه المادة الشعرية المترجمة، على غناها وثرائها، تمكننا من توزيعها على أربعة محاور كبرى، تمثل في نظرنا الموضوعات الرئيسية التي تدور في فلكها أغلبية أشعار هذا الشاعر :

(4) أحمد أيت واعلي، «القوة الهادئة» جريدة المساء، ليوم: 31 مارس 1991، ص، 15.

ففي المحور الأول أدرجنا القصائد التي تتناول المسائل العاطفية والغزلية كموضوع رئيسي، ويبلغ عددها 46 قصيدة. هذا الموضوع يشغل حيزا واسعا ضمن مساره الفني، لاسيما في المراحل الأولى من عمر تجربته الشعرية. فالشاعر أيت منقلات أظهر في بواكر انتاجاته تفتحا عفويا على المناخات الرومانسية التي أرهفت مشاعره وإحساساته الوجدانية، وهو التيار الذي يمثل في الغالب البداية الطبيعية لكل شاعر بدأ حياته الفنية في فترة مبكرة، فترة تحمل في طياتها أحلام المراهقة ونزوات الشباب.

ولونيس يمثل هذا الطبع الإبداعي المبكر، يشارك بشكل وثيق غيره من الشعراء الرومانسين العديد من الصفات والمميزات الإبداعية، إذ نجد أن السمات العامة لفنه في هذه المرحلة، تماثل في الكثير من الأوجه ما تكشف عنه انتاجات رواد الرومانسية الغربية والعربية على حد سواء من أمثال: «لامرتين، Lamartine وموسيه، Musset و ألفريد دي فيني، Alfred de Vini»، أو الشابي، وجبران خليل جبران، وإيليا أبي ماضي^(*). فالنزعة الذاتية مسيطرة على أعماله الشعرية، ويحتفي كغيره من هؤلاء الرومانسين

(*) في سؤالنا الذي وجهناه للشاعر في اللقاء الذي جمعنا به في إغيل أبماس يوم السبت 24 أوت 1996 عن مدى تأثره بالتيارات الأدبية المعروفة، لاسيما الرومانسية والرمزية، أجابنا قائلا: « طبعاً في مثل هذه المسائل النقدية، لكل وجهته الخاصة، حتى وإن وجدنا في أعماله الشعرية ما يشبه أعمال هؤلاء الشعراء المذكورين، فهذا ليس بأمر مستحيل، رغم أنني، في حقيقة الأمر، لم أحظ بعلم وافر لكي يتسنى لي الغوص بالفهم والاستيعاب في عمق إبداعات هذين المذهبيين الأدبيين، ولكن هذا التقارب والتشابه بين الشعراء والأدباء كثيراً ما يحدث، رغم ما يقع بينهم من فوارق زمنية ومكانية، واختلافات في المناخات الثقافية والاجتماعية. فلو نأخذ مثلاً، الشاعر لامرتين الذي عاش مرحلته الرومانسية في بيئة معينة وزمان محدد، نجده يتقارب ويتشابه في الكثير من المسائل مع شاعر قبائلي عاش مرحلته الرومانسية في بيئة مغايرة وزمان آخر متقدم، وهذا يصدق أيضاً على النهج الرمزي».

بالنفس الإنسانية احتفاءً عظيمًا يبلغ بها مرتبة التقديس، كما يمجّد الألم
الإنساني والذاتي، ويلجأ إلى الطبيعة يستنطق مظاهرها ويتخذها ملاذاً دافئاً
يبثها شكواه ويقر لها بمكنونات نفسه، وهي بالمقابل ألهمته صوراً خيالية
مكنته من التعبير عن خفاياه وأسراره، ومنحت أشعاره الحيوية والجدّة،
وشحنت صورته المبتكرة بعواطف رقيقة نبيلة تميل في الأغلب إلى التشاؤم
والخيبة.

فالمستقرئ لجملة القصائد التي يحتوي عليها هذا المحور الأول، يتبين
له أنه سار على النهج الرومانسي نفسه في نقل حالات من الفشل والخيبة
تجاه المحبوب، والتعبير بتشائؤية بارزة إزاء مواقف حياتية عدة ... فالحب
كما تم تصويره في العديد من قصائده الغرامية، لم يقف عند حدود الشهوة
الغريزية السافرة، بل يتجاوز بمفاهيمه وأبعاده تلك العلاقة المألوفة التي تجمع
بين الرجل والمرأة، ويسمو به المقام ليصبح حالة من التجاذب بين قلبين،
والتعانق بين روحين، ينشد به ذلك النموذج الأمثل في نقاء العلاقة
وصفائها.

فالمرأة كما تعكسها مختلف قصائده العاطفية، ليست مثل تلك المرأة
التي نقلتها الأشعار القديمة: فهو لم يتخذ منها موضوعاً لاستعراض مفاتها
الحسية الماجنة، والخلق من محاسنها أوصافاً وتشابيه غريزية مثيرة على نهج
علي أو عمروش، وسي محند أو محند، وغيرهم من الشعراء القدامى، وإنما

غالباً ما يسقط عنها هذا الوجود الغريزي المادي المغربي، ويكسبها وجوداً شعورياً أو خيالياً، بحيث تغدو المرأة بنظرته الرومانسية فكرة مثالية تلتقي عندها الأشواق وتتكامل في رحابها السعادة المنشودة، وتتعانق فيها الأرواح في رباط قدسي عفيف⁽⁵⁾.

ولعل ارتباط لوئيس أيت منقلات بهذا النموذج الأمثل لعالم أنثوي هو ما يفسر تعدد علاقاته العاطفية، إذ ينتقل من امرأة إلى أخرى كأنه بذلك يبحث في المرأة عن شيء وراء المرأة. وكان في كل مرة يعود منهزماً يجر أذيال الحيبة والندم ويصدر صيحات اليأس والفشل⁽⁶⁾.

وتظل عاطفة الحب عند لوئيس في امتزاج شديد باليأس والمرارة والخيبة، فلا الويزة . Lwiza ولا جميلة . Gamila ولا الكايسة . Lkaysa⁽⁷⁾، حققت له ثبات العاطفة أو أبلغته ذلك النموذج المثالي المنشود، وكأنه بهذه الخيبة المتكررة يستنسخ تلك المواقف الانهزامية للكثير من الرومانسيين في ميدان العواطف والوجدانيات.

فالشاعر لوئيس قد يدفعه تمرد على الواقع المرير في ميدان العواطف إلى أن يشق طريقاً في عمق المستحيل⁽⁸⁾، بل قد يتمادى به الخيال أحياناً ليعلن تمرد على القدر والعدم، رافضاً أسس العالم الغيبي وقوانينه المقيدة

(5) أنظر على سبيل المثال القصيدة رقم 24 من الديوان، المحور الأول.

(6) أنظر القصائد الواردة تحت الأرقام التالية في الديوان: 37 - 11 - 18 - 16 المحور الأول.

(7) أنظر القصائد الواردة تحت الأرقام التالية في الديوان: 7 - 15 - 5، المحور الأول.

(8) أنظر على سبيل المثال القصيدة رقم 2 من الديوان، المحور الأول.

لإرادة الفرد، والعاثة بمصيره. فينكر فعل القدر ويرفض التسليم لواقع القضاء، فيقيم بفلسفة رومانسية الحياة من الموت، والوجود من العدم، رغم زوال جسد الحبيبة وسقوط طينته وماديته⁽⁹⁾.

أما في المحور الثاني فقد أدرجنا القصائد التي تناولت القضايا السياسية بكامل أبعادها وتداعياتها، وعددها 45 قصيدة، وتعود في أغلبها إلى المرحلة الثانية من عمر تجربته الشعرية⁽¹⁰⁾. والموضوعات السياسية ضمن هذه المرحلة أضحت من أهم الانشغالات التي استقطبت قريحة هذا الشاعر، فجادت بسيل دافق من الأشعار، توسم في الغالب بالطول والطرح العميق لمختلف القضايا والاهتمامات التي أفرزها الحقل السياسي، لاسيما في فترة ما بعد الاستقلال.

فبالعودة إلى ما اشتمل عليه هذا المحور الثاني من قصائد، ندرك أن لونيس أيت منقلات قد تصدى في المقام الأول لسياسة الحكم المنتهجة من

(9) ذلك ما يتجلى مثلا من قصيدته « الروح الباكية »، إذ أن مضمونها القائم على فلسفة رومانسية تمردية، يعد من المضامين الفلسفية والرؤيوية المميزة للفكر الرومانسي، هذه الرؤية الفلسفية التي تظهر بجلاء في إنتاجات العديد من الشعراء الرومانسيين الكبار، فهذا لامرتين - Lamartine مثلا قد تبنى نفس المواقف الانفعالية الثائرة حين فاجعته الأقدار بوفاة حبيبته "إلفير". كما نقل فيكتور هيجو - V.Hugo بدوره هذه النزعة في العديد من إبداعاته، خاصة منها تلك التي تناول فيها مرارة الوجد وقساوة الحزن بعد أن فقد ابنته "جيرالدين - Geraldine".

(10) فقد حدث أن سألنا الشاعر عن رأيه في هذا التقسيم لمساره الإبداعي إلى فترتين بارزتين: تتصل الأولى بأيام الشباب، وتتمحور مواضيعها الأساسية حول مسائل الغرام والعواطف، وتتعلق الثانية بفترة النضج والكبر، وتدور مواضيعها الرئيسية حول مسائل عصرية، وقضايا سياسية أفرزها نمو المجتمع وتطوره، فأجابنا قائلا: « قد يكون ذلك الآن حقيقة، لأنني لما ألقى النظرة على هذا المسار يتراءى لي بنفس هذا التقسيم، ولكن ما أريد أن أشير إليه، هو أن ذلك التقسيم لم يأت بطريقة مقصودة، بمعنى أنني لم أت في فترة ما من عمر هذا المسار لأقول: اليوم سأوقف هذه المرحلة الأولى لأبدأ مرحلة ثانية، لم يحدث أن تدخلت بهذا الشكل، بل إن بروز هاتين المرحلتين كان وليد الصدفة، والنمو الطبيعي لهذه التجربة الشعرية».

طرف الحكام، بفضح مزالقتها تجاه الشعب، وحيال القضايا العادلة المطروحة على الساحة الوطنية منذ فجر الاستقلال، إذ تناول مرارا فضح سياسة الحزب الواحد التي قادت البلاد لفترة زمنية طويلة، وعمدت إلى تغييب بشكل مقصود كل الحقوق الديمقراطية، وحرية التعبير، وحقوق الإنسان. فالشاعر لونيس أيت منقالات ترصد بنقد واع، وتحليل ذكي العديد من القضايا الناجمة عن مثل هذه السياسة الأحادية المجحفة، فيمكننا أن نذكر البعض من هذه القضايا السياسية التي شغلت حيزا واسعا في العديد من إبداعاته خلال هذه المرحلة الثانية، مع تقديم إثباتات بالنصوص الشعرية من الديوان:

. السياسة المنتهجة حيال بعض زعماء الثورة التحريرية بعد الاستقلال، إذ كشف عن تلك الوضعيات القسرية المفروضة عليهم، والتي تتراوح بين النفي والسجن والاعتقال⁽¹¹⁾.

. الكشف بطريقته الخاصة عما أفرزته الثورة التحريرية من أوضاع مزرية خاصة الأراامل والثكلى واليتامى لعائلات الشهداء، من غير أن تضمن لهم سياسة الحكم حقوقهم المستحقة، والضامنة لهم العيش الكريم. إضافة

(11) وتعتبر قصيدته « الغيم - Agu »، أصدق نموذج على ذلك، إذ يقدم الشاعر في مضمونها المطول صورة مفعمة بالمأساة عن وضعية القهر التي عاشها بعض أبطال الثورة التحريرية بعد الاستقلال، إذ فرض عليهم النفي السياسي قسرا وعنوة من طرف السلطة الحاكمة آنذاك.

إلى تناوله لوضعية المجاهدين الحقيقيين، الذين لم ينالوا من بلادٍ حرروها
بدمائهم إلا النزر القليل⁽¹²⁾.

. الهوية الوطنية في بعدها الأمازيغي، التي تناولها في عدد كبير من
قصائده، حتى أضحت قضيته العادلة، التي دافع عنها في كثير من الوعي
والنباهة، واعتبرها مظلمة تاريخية وثقافية فُرضت على أصالة المجتمع
بكامله⁽¹³⁾.

. نقد وفضح النزاعات الداخلية التي عرفها المجتمع القبائلي منذ
القدم، والناجمة أساسا عن تركيبته السوسولوجية المتوارثة، والقائمة . في
الغالب . على علاقات عدائية، يغذيها روح الانتماء العروشي أو القبلي أو
الدموي. هذه النزاعات الحائلة دون تحقيق الوحدة المنشودة، هذه النزاعات
التي تطفو على السطح كلما احتاج أبناء المجتمع إلى جمع الشمل وتوحيد
الصفوف، إذ أن القبائلي . كما نقلته مختلف أشعار الديوان . تنبعث فيه تلك
الطبيعة العدائية الموروثة، كلما دنا نحو جني ثمار جهوده، أو حلت به
الأوقات العصيبة، فعوض أن يستكين إلى الوحدة، يعمد إلى شهر
سلاحه في وجه أخيه ليبرز رجولته، ويؤكد ما له من قوة وتفوق⁽¹⁴⁾.

(12) أنظر على سبيل المثال القصائد التي تحمل الأرقام التالية في الديوان: 9 - 30 من المحور الثاني.
(13) المطلب الأمازيغي بأبعاده اللغوية والتاريخية والثقافية، يعد إحدى المصادر الإلهامية الفاعلة في كيان
التجربة الشعرية للونينس أيت منقلات، إذ جادت قريحته بسبيل دافع من الأشعار، تولى من خلالها بث الوعي
في أوساط أبناء أمته بأحقية هذا المطلب، وضرورة الاعتراف به كإمتكامل ضمن المكونات الأساسية للهوية
الوطنية، ومن هذه القصائد المتعددة التي تناولت هذا الموضوع، نذكر على سبيل المثال تلك التي تحمل الأرقام
التالية في الديوان: 3 - 7 - 10 - 11 من المحور الثاني.

(14) نقد الشاعر لطبع الصراع والنزاع في كيان المجتمع القبائلي، يواكب في كثير من الأحيان المطلب
الأمازيغي، إذ يشكل في نظره سببا لكل العلل التي تلحق بالفرد القبائلي، بما في ذلك ضياع حقوقه اللغوية
والثقافية، لذا نجد قد تولى فضح هذا الطبع بسخط ولذاعة في كثير من أشعاره، مثلما يتراءى ذلك جليا من
خلال القصائد التالية: 17 - 20 - 26 - 28 - 43 من المحور الثاني.

. الحس الوطني الشامل: العديد من قصائد الديوان، تظهر أن الشاعر لونيس أيت منقلات يمتلك حسا وطنيا نبيلًا، إذ يقف بالمساندة والتهليل بجانب كل القضايا السياسية الهامة التي تخدم وحدة الشعب الجزائري، وتضمن له الرقي والأمن والدعة، ويقف بالاستنكار والسخط ضد كل فكر أو منهج أو سياسة من شأنها تدنيس جزائر العزة والشموخ، أو قد تقود الشعب إلى مهاوي الإذلال والضميم والهوان⁽¹⁵⁾.

. الحس الإنساني العام: يتجاوز لونيس أيت منقلات في بعض قصائده المجالات الوطنية، ليحلق بفكره وأخيلته في آفاق إنسانية رحبة، متناولًا تلك القضايا التي تنجم عن السياسات المنتهجة في قيادة الأمم، بكل ما ينجم عنها من مآسي وأحزان، تدفع ثمنها الشعوب المغلوبة على أمرها، فهو ينبذ النزاعات والحروب، ويناشد السلم العالمي، ويدعو إلى الإخاء الإنساني الشامل، إخاءً تمنحي في رحابه كل الفوارق، وتذوب أمامه كل الحواجز الوضعية⁽¹⁶⁾.

أما في المحور الثالث فقد أدرجنا القصائد التي ارتقى فيها الشاعر درجات في مستويات التخيل الشعري، بلغ بها درجة الإشراف على أعلى مراتب التعقيد والغموض⁽¹⁷⁾، بما أنتجه من قصائد بُنيت أساسًا على خط

(15) القصائد الناقلة لمثل هذا لإحساس الوطني عديدة لاسيما في المرحلة الثانية من عمر تجربته الشعرية، نذكر منها على سبيل المثال: 16 - 36 - 37 - 39 - 42 من المحور الثاني.

(16) أنظر على سبيل المثال القصائد التالية: 5 - 12 - 21 من المحور الثاني، والقصيدة 15 من المحور الثالث.

(17) ولكن الغموض الذي يقصده لونيس، واتخذ مسلكًا فنيًا في العديد من إبداعاته، ليس بذلك الغموض المضل، الذي يقف كحاجز منيع، يستحيل معه الغوص إلى عمق الدلالات التي يتضمّن النسيج الفني للقصيدة، بل هو غموض هادف يخفي وراءه جمالية إبداعية مشرقة، ويكسب النص الشعري قيمة فنية عالية، إذ أن المتتبع لأعماله يلاحظ أنه قد أدرك، كغيره من شعراء المذهب الرمزي، ما في الغموض الفني من جمالية إبداعية راقية، وما له من قوة وفعالية مساعدة على توسيع أفق الرؤية الجمالية للشاعر، وإكساب صورته الشعرية بؤرة غائرة من التفاعلات الدلالية المحتجبة، إذ نجده يبدي رأيه النقدي من هذه القضية في كثير من مواقف، يؤكد في كل مرة ضرورة الغموض في أي عمل شعري ناجح، كأن يصرح في أحد استجواباته قائلا

ففي موغل في التجريد والتأمل والحكمة، منتهجا في ذلك نهج الرمزيين الكبار، إذ أدرك مثلهم أن العالم ناقص ومعتوه، لذا من الضروري تحطيم أسواره الوضعية والمرسومة، والبحث عن عالم بديل أكثر صدقا وشمولية، تتحقق فيه الحياة في أسمى معانيها وأنبأ مثلها.

فالشاعر لونيس أيت منقلات بهذا البعد التجريدي الفلسفي التأملي يسعى إلى استنطاق ما هو كامن وراء الحسي والمرئي، والغوص في أدغال المطلق والغيب والمجهول، فرؤيته الشعرية تنقلب إلى قوة انسلاخ، وطاقة كشف، وأداة معرفة تخيلية تعارض المعرفة العقلية والتجريبية.

ولعل من بين الطرق التي انتهجها الشاعر في عمليته الابداعية المنتجة لمثل هذا النوع من القصائد الموغلة في الغموض، لجوؤه إلى تشكيل البنية الفنية للنص الشعري على ما يمكن تسميته بالرمز الموضوعي، سواء منه المستخلص بحكمة وذكاء من التاريخ القديم⁽¹⁸⁾، أو المستنبط أساسا من عمق الذاكرة الشعبية للمجتمع القبائلي⁽¹⁹⁾، وهو في كل ذلك يستنسخ بطريقة فنية مميزة مواقف عصرية مشابهاة.

(فيما معناه): « أظن أن القصيدة يجب أن تفتح أمام المتلقي فضاء رحبا للتأويل الفني، وأرفض أن يرد النص الشعري مقيدا بحدود دلالية مسطحة، وصيغ معنوية واضحة ... إنها قصيدة فقيرة تلك التي تقدم معانيها في ثوب تقريبي مباشر، وتحرم المتلقي من نكهة الكشف عن أبعاد فكرية وفنية، قد يعمد الشاعر إلى إيرادها في غلاف إيحائي رامز ».

(18) كأن نذكر على سبيل المثال قصيدته الطويلة الواردة تحت عنوان «الضربة»، ضمن المحور الثالث من الديوان، فالشاعر في النسيج الفني لهذه القصيدة يستنسخ بطريقة فنية جميلة موقف طارق بن زياد التاريخي، وقراره الشجاع في مجابهة الخصم، والذي أبلغه قمة المجد، وعزة النصر، ليحث أبناء أمته للاحتذاء بمثل هذه المواقف الفريدة في درب النضال، من أجل إبلاغ المطلب الأمازيغي غايته المنشودة، وتحذيرهم من التخاذل والانهازامية والتراجع مهما كانت الأسباب والحجج.

(19) مثلما يظهر ذلك جليا من قصيدته « أحمد أومري»، هذا البطل الشعبي من منطقة القبائل، عرف بعصيانه وتمرده ضد السلطات الفرنسية الحاكمة، فرّ من صفوف الجيش العسكري الفرنسي سنة 1945، وظل ثائرا يبحث عن تحقيق العدالة الاجتماعية المفقودة بطريقته الخاصة، إلى أن قتل غدرا من طرف المستعمر

كما يلجأ الشاعر إلى المحاورات التجريدية، لي طرح من خلالها بعض القضايا الكونية والوجودية المحيرة، والتي ظلت منذ زمن بعيد محور تساؤلات الفلاسفة والمفكرين، كالقوى الميتافيزيقية المسؤولة عن نظام الكون، والعلاقات الخفية والعلنية بين الإنسان وهذه القوى الغيبية المسيرة، وما ينجر عن كل ذلك من قضايا فكرية كبرى، كالإيمان والمعتقد، والقضاء والقدر (المكتوب)، إرادة الإنسان وأفعاله بين الجبرية والمطلق⁽²⁰⁾.

ومن طرقه الموعلة في الغموض، اعتماده على الصور الرؤيوية ذات عمق في الدلالة، والبالغة حدود التجريد، الرامية إلى الكشف عن الأنسق الخفية المسيرة لنظام الحياة، خاصة ما يتفاعل في فلکها من متناقضات معنوية تكتسب وجودها وامتدادها من عمق تصادمها وتصارعها، وهو ما يؤثر سلباً أو إيجاباً على آليات المجتمع البشري وأسس التنظيمية⁽²¹⁾.

الفرنسي، بتواطؤ أحد أقربائه. هذا البطل الشعبي الذي لازال يتردد ذكره على الألسن، نظراً لما يتصف به من نبيل الأفعال وصدق الأقوال، فتوريقه العادلة وتمرده المنصف مكنه من الارتقاء إلى أعلى مراتب الخلود. والشاعر لونيس آيت منقلاات بذوقه الفني، استطاع أن يعيئ متن قصيدته بمعان إيحائية ظلييلة، مصدرها الواقع الحياتي والبطولي لهذه الشخصية الشعبية الفريدة، فالمنلقي لا يمكنه فهم مقصد الشاعر ومراميه إلا على ضوء خلفية هذا الواقع وجزئياته، بمعنى أن يستحضر ذلك "النص الغائب" الذي لم يذكره الشاعر، بل لمح إليه تلميحاً إشارياً خاطفاً.

(20) أنظر القصيدة رقم 8 من الديوان، المحور الثالث. هي قصيدة تتألف في مجملها من خمسة مقاطع متتالية: تقوم في جوهرها على حوار تجريدي فلسفي أجراه الشاعر بين «البشر - Imdanen»، وإحدى النوامس الكونية المتمثلة في «النسيم - Abchri»، عمد فيه إلى الإفصاح عن أفكاره التجريدية عن طريق أخيلة وصور سحرية مؤثرة، تقود الإنسان إلى الوقوف على فهم جديد لعالمه، والكشف عن حقيقة ذاته، وطبيعة العلاقة التي تربطه بالقوى الماورائية، ومدى فاعليتها في توجيه إرادته وأفعاله نحو الخير حيناً، ونحو الشر أحياناً أخرى.

(21) يظهر ذلك على سبيل المثال في مضمون قصيدته: من «الكذب إلى الصدق»، التي يقوم نسيجها الفني على تفاعل خمس قوى متضادة وهي « الكذب - الظلم - الخوف - الرجولة - الصدق»، وتشكل في مجملها حلقة دائرية متجاذبة الأطراف، تكوّن في صلبها أسس التعامل والممارسة الحياتية للفرد في واقع المجتمع الإنساني. والشاعر يغلب في نسيج هذه الممارسة، وبطريقة مقصودة، إحدى هذه القوى الفاعلة والمتمثلة في

وأدرجنا ضمن المحور الأخير، القصائد القائمة على موضوعات اجتماعية، وعددها 13 قصيدة. فبالرغم من تنوع هذه الموضوعات الاجتماعية، يظل موضوع "الغربة" من الموضوعات التي استقطبت اهتمام الشاعر، وأبدع في تناوله عددا كبيرا من القصائد، قدم خلالها صورة دقيقة تكشف عن المعاناة التي تنجر عن مثل هذه الظاهرة، سواء على مستوى معيشة المغترب نفسه، أو على الذين خلفهم وراءه من الأهل والخلان. فالشاعر لونيس أيت منقلات كان دقيقا إلى أبعد الحدود في تناوله لهذا الموضوع، بالرغم من أنه لم يكتوِ بلظى الغربة مثلما اکتوى بها غيره من الشعراء أمثال الحسناوي، وسليمان عازم، وزروقي علاوة.

ولعل من قصائده الأكثر إيغالا في وصف أسباب وتبعيات الغربة والاعتراب، قصيدته الطويل تحت عنوان «الغربة»⁽²²⁾، التي تعتبر بمثابة تأريخ في شامل لظاهرة الغربة، التي فُرضت على الأفراد والجماعات بعد الحرب العالمية الثانية، وما لها من أثر سلبي على الأسر الجزائرية، لاسيما منها الأسر القبائلية.

الرجولة - Tirrugza بكل ما تجسده من قيم ومعان سامية، ويرى فيها المعيار الحقيقي للمجتمع الفاضل، والمشرّف على حدود الصفاء والكمال.
(22) ومن القصائد التي تناولت نفس هذا الموضوع، ما ورد تحت الأرقام التالية في الديوان: 4 - 5 - 8 - 9 - 10-11، المحور الرابع.

محتويات الديوان

07	المقدمة
35	I - الصور الأول
35	⇒ الشعر العاطفي (Tamedyazt n tayri)
37	1 - الجمال الفاتن
38	2 - إذا بكيت
40	3 - الحلم المزعج
41	4 - من أجل اسمك
43	5 - الكايسة
45	6 - إن جُنُنْتُ
47	7 - الوييزة
50	8 - سيارة الزفاف
51	9 - رسالة سلام
52	10 - إن كتبت
54	11 - تاه عقلي
55	12 - من هو الظالم؟
57	13 - أبك أيها الحظ
58	14 - دعيني
59	15 - جميلة
61	16 - شجرة الدفلى
63	17 - صبرا أيها القلب
64	18 - المؤانسة
66	19 - الإنصات للهموم
68	20 - إرادة المكتوب

69	21 - التور
71	22 - الأشتي يلق
73	23 - كم تحدثت عنك
74	24 - أبحت عنك
76	25 - المرض
78	26 - الانتظار
80	27 - يا أفلة كالنجم
82	28 - أسأل عنها النجوم
83	29 - أريد أن أقول
84	30 - أيها الدرب
86	31 - يا شقية بحبي
88	32 - الفراق
90	33 - لماذا، لماذا؟
92	34 - الغزاة
94	35 - خصام مع القلب
95	36 - سمأوك
97	37 - ظئمتني
99	38 - تاه بي الحلم
102	39 - لكل منا وجهته
104	40 - اذهب ودعني
106	41 - الروح الباكية
108	42 - الشمس
110	43 - اخبريني
111	44 - دليني على الدواء
113	45 - تعالي إلى حضني
115	46 - الحبيب

119	II - المصور الثاني
119	الشعر السياسي (Tamedyazt n tsertit)
121	1 - ج. س. ك (J.S.K)
123	2 - أعزوه
125	3 - البائع الجوال
127	4 - الغيوم
132	5 - انتظريني
136	6 - جاء دورك فافرح
139	7 - المسيرة الطويلة
140	8 - الشّقي
143	9 - المجاهد
145	10 - النّحلة
147	11 - ياسكيني
149	12 - الكشّاف
152	13 - الرسائل
159	14 - أرقد أرقد
161	15 - الخوف
164	16 - شباب الجزائر
168	17 - قل لأخي
170	18 - أمشاهو
172	19 - قصتك
174	20 - أيها القبائلي
178	21 - العسكري
181	22 - يا بُنيّ
190	23 - نعلم
192	24 - القصيدة
195	25 - الممدّاح

200	26 - قضيتم على المحنة
202	27 - أحمد أو مري
204	28 - القبائلية
206	29 - لماذا؟
209	30 - الطارق على الباب
212	31 - الضريبة
215	32 - الغناء
218	33 - عليكم مني السلام
221	34 - الخوجا
225	35 - أضيئوا لنا الأنوار
231	36 - البراعم
233	37 - الأطفال
235	38 - درب الصبا
244	39 - ليفضح الله أمركم
247	40 - عابرو السبيل
250	41 - حذار
253	42 - بلادنا
256	43 - الأخوة
259	44 - غناء التكريم
262	45 - مخض الماء

267 الشعر التأملّي والحكمي (Tamedyazt n wes kud)

269 1 - أه يا دنياي

272 2 - دعوني

274 3 - الغريب

276 4 - الدنيا بئر السموم

277 5 - لماذا؟

279 6 - ثلاثة أيام

281 7 - يا حفار القبور

283 8 - النسيم

286 9 - الأثر

288 10 - دعني

290 11 - الاجتماع

292 12 - علي مع واعلي

298 13 - من الكذب إلى الصدق

300 14 - الفنان

303 15 - لو كان

305 16 - ذا يذير

310 17 - أضيف يوم آخر

313 18 - قل أيها العجوز

315 19 - قال العجوز الحكيم

319	IV - المصور الرابع
319	☞ الشعر الاجتماعي (Tamedyazt n tmetti)
321	1 - والـــــــديّ
323	2 - أمــــري لله
325	3 - ضاق القلب
327	4 - مغترب قرب الديار
329	5 - الحــــالم
331	6 - قلتُ له تـفـطـن
333	7 - أنفصم قلبي
335	8 - عــــد إليّ
339	9 - تــــرقبــــت
340	10 - اذهب وخلفني وراءك
342	11 - أين خلفتم ابني
348	12 - نداء الأهل والخلان
350	13 - الغــــربة
355	☞ محتويات الديوان